التّعبير الكتابيّ ومقتضيات العصر الرّقميّ

عبّاس زناتي *

تاريخ الورود:	**٨ آب ٢٠٢٥**
تاريخ الموافقة على النشر:	**٣٠ تموز ٢٠٢٥**
تاريخ التحرير والمراجعة:	**١٥ آب ٢٠٢٥**
تاريخ النشر:	**٣ أيلول ٢٠٢٥**

ملخّص

تبحث هذه الورقة في التّعبير الكتابيّ في ظلّ العصر الرقميّ، فتتناول في محطّة أولى توصيفًا لواقع التّعبير الكتابيّ عند متعلّمي التّعليم الأساسيّ والتّعليم الثّانويّ، أي في منهاج التّعليم العام ما قبل الجامعيّ، ثمّ تعرض المحطّة الثّانية أبرز الحلول والمقترحات التي من شأنها أن تساعد المتعلّمين على معالجة الثّغرات في نتاجاتهم التّعبيريّة الكتابيّة، مستفيدين من الذّكاء الاصطناعيّ، بما يعزّز امتلاك مهارة الإبداع في الكتابة. أمّا المحطّة الثّالثة فقدّمت رؤية متوازنة للتّقانة والإبداع. ويشكّل المنهج الوصفيّ أقرب المناهج لدراسة هذه الظّاهرة اللّغويّة المتعلّقة بالتعبير الكتابيّ. بالإضافة إلى أنّه يقدّم الموضوعيّة التي تعتمد الاستقراء والاستنباط.

الكلمات المفاتيح : التعبير الكتابيّ، التّقانة، الذّكاء الاصطناعيّ، الإبداع، النّظام اللّغويّ

* أستاذ محاضر في الجامعة اللّبنانيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، العمادة والفرع الخامس، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، لبنان .

مقدّمة

شكّلت الكتابة تحوّلًا إبداعيًّا وحضاريًّا غيّر حياة الإنسان ووسّع مجاله المعرفيّ، فهي وعاء الثّقافة، وحافظة العلوم والمعارف، وقاطرة نقل تراث الأمم وإنجازاتها للأجيال، وجسر تواصل فاعل بين الحضارات والشّعوب.

وشهدت الكتابة تطوّرًا في وسائلها وأساليبها في مراحل مختلفة عبر التّاريخ الإنسانيّ، وكانت كلّ مرحلة منها تمهّد للّتي تليها وتبشّر بها، فقد بدأت بالنّقوش ثمّ البردي، ومع ظهور صناعة الورق حدثت ثورة كبرى في صناعة الكتاب فكثرت المخطوطات. ومع ظهور الطّباعة، عرفت نقلة نوعيّة في شتّى ميادين التّأليف والمعرفة وانتشر الكتاب، وبعد أن عرف العالم ثورة التّكنولوجيا والذّكاء الاصطناعيّ، استفادت الكتابة في تطوير أوعيتها عن طريق الوسائط المتنوّعة الجديدة، فانتقلت من الورقيّ المكتوب إلى المعاين في الشّاشة، وخرج النّصّ من الصّالات الأكاديميّة إلى الفضاءات المفتوحة، وتحوّل القارئ من متلقّ صامت إلى ناقد مباشر.

أمّا التّعبير الكتابيّ فهو قدرة المتعلّمين على الإفصاح بلغة عربيّة فصحى عن أفكارهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ومشاهداتهم، وهو الاتّصال اللّغويّ بالآخرين عن طريق الكتابة، ويعدّ وسيلة للاتّصال بين المتعلّمين والآخرين، ممّن يبتعدون عنه زمانًا ومكانًا " التّعبير الكتابيّ شكل من أشكال الاتّصال غير المباشر ما بين النّاس في أزمنة وأمكنة مختلفة" (سلمى ، ٢٠٠٩).

١. الإشكاليّة

ما أبرز المشكلات الّتي تعترض المتعلّمين لإنتاج تعابيرهم الكتابيّة بطريقة سليمة خالية من الأخطاء والضّعف والرّكاكة والابتذال والسّطحيّة؟ وما أبرز الحلول الّتي من شأنها أن تذلّل الصّعوبات، وتجعل التّعبير الكتابيّ مهارة مكتسبة بطريقة فاعلة ومميّزة؟ وإلى أي مدى يمكن الكلام على مساحة مشتركة بين التّقانة والإبداع؟

٢. توصيف واقع التّعبير الكتابيّ في العصر الرّقميّ

يعاني التّعبير الكتابي في يومنا الحاضر تحدّيات كبيرة، ولاسيّما بعد الطفرة الرقمية والتكنولوجية التي سيطرت على العالم، فأصبح المتعلّمون في التّعليم العام ما قبل الجامعي في مواجهة صعبة وتحدٍّ كبير أمام هذا الزّخم التقني الذي يواجهونه، وتجلّى ذلك من خلال:

- **السّطحيّة في التّعبير** بسبب الاعتماد على المحتوى السّريع في وسائط التّواصل الاجتماعيّ، وغياب الأمانة العلميّة والموثوقيّة، وعدم احترام حقوق النّشر الرّقميّ، الأمر الّذي يؤدّي إلى عدم امتلاك مهارة التّنظيم الفكريّ، وغياب التّرابط المنطقيّ، فيصعب على القارئ تتبّع التّسلسل أو فهم المعنى المقصود.
- **انخفاض مهارات الكتابة التّقليديّة** بسبب استخدام أدوات التّصحيح الآليّ الّتي تقلّل من تطوير المهارات الشّخصيّة، فبتنا نجد المتعلّمين لا يملكون القدرة على حمل القلم بطريقة صحيحة، وهذا ما نلحظه عند الكثير منهم، ولاسيّما في صفوف الحلقتين الأولى والثّانية من التّعليم الأساسيّ.
- **ظهور نموذج جديد من الكتابة** يجمع بين الحروف العربيّة والحروفّ اللّاتينيّة، الأمر الّذي يسهم في تشويه النّصّ وإضعاف عمليّة التّواصل. ومن المستغرب تساهل بعض معلّمي اللّغة العربيّة في هذا المجال، إذ ينبغي أن يوجّهوا متعلّميهم الوجهة الصّحيحة، وأن يصوّبوا هذه الظّواهر الهجينة، بغية الحرص على إنتاج كتابات تليق بالمنشئ والمتلقّي.
- **الضّعف في امتلاك قواعد النّظام اللّغويّ** لدى المتعلّمين، الأمر الّذي يؤثّر على صحّة الجمل وسلامة التّعبير، والافتقار إلى الخيال والتّصوير والإبداع، فيجعل التّعبير الكتابيّ جافًّا وخاليًا من الجاذبيّة والانميازيّة.
- **الاعتماد على الحفظ والتّقليد**، بدلا من تغذية الفكر بالقراءات المعمّقة والأساليب التّعبيريّة الإبداعيّة.
- **المكوث أمام شاشات الفضاء** التي تكتظ بالغوغائية اللفظية والعشوائية القوليّة وتملأ عقول المتعلّمين بمخزون لغوي آتٍ من ثقافات أخرى لا تفرّق بين الفعل والاسم، فهذه الثّقافة الهشّة مِعول هدمٍ لأساسيّات اللّغة وأصول الكتابة.

٣. التّعبير الكتابيّ في العصرِ الرّقميّ: مقترحات وحلول

- **تعزيز الكفاية اللّغويّة من خلال** التّشجيع على استخدام الفصحى في مختلف أشكال التّواصل وزيادة المخزون اللّغويّ عبر حثّ المتعلّمين على البحث والتّقصّي والمطالعة، وتزويدهم بالألفاظ والتّراكيب (رضوان، ٢٠٠٣)، والتّعرّف إلى مفردات جديدة وعبارات وتراكيب إبداعيّة. ومراجعة قواعد الصّرف والنّحو والإملاء...
- **توظيف التّكنولوجيا في خدمة التّعبير الكتابيّ من خلال** استخدام تطبيقات تعليم الكتابة، ومواقع التّدريب الإلكترونيّ وتعليم مهارات الكتابة الرّقميّة الصّحيحة.
- **ممارسة الكتابة المستمرّة** عبر تنظيم مباريات في التّعبير الكتابيّ عبر المنصّات الرّقميّة شهريًّا
- **تعزيز الثّقة بالنّفس** من خلال تشجيع المتعلّمين للتّعبير عن أفكارهم ، وليس عن أفكار المعلّم، وهذا ما يمنح المتعلّمين الثّقة بالنّفس، والاستقلاليّة في التّعبير، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للمتعلّمين للتّعبير عن أنفسهم، وبناء علاقة إنسانيّة معهم، فلا نشعرهم إذا أخطأوا بالعجز والتّقصير، وعدم القدرة على التّفكير والإنجاز والإبداع.
- **تأمين بيئة صفّيّة داعمة، وتشجيع التّعبير الحرّ** من خلال مراعاة التّدرّج في موضوعات التّعبير من المحسوس إلى المجرّد، ومن السّهل إلى المركّب. وربط الموضوعات بالمواقف الحياتيّة، وما تستدعي تلك المواقف من كتابة الرّسائل والإعلانات واللّافتات وغيرها. والحرّيّة في اختيار الموضوع الّذي يريد أن يعبّر عنه، وفي اختيار الطّريقة الّتي يعرض فيها أفكاره أو الّتي توجّه إليها فيدركها ويحسّها في نفسه، من دون فرض أو قيد..
- **المكوث في ساحات اللّغة العربيّة** التي تحمل النّماء المعرفيّ وعطايا الانتماء الثّقافيّ، وتتجمّل بدرر الإبداع، وتتحلّى بشتّى جواهر الإمتاع (نهاد، ٢٠٠٣).

٤. التِّقانة والإبداع: رؤية متوازنة – المواءمة بين التّقانة والإبداع البشريّ

- استخدام أدوات الذّكاء الاصطناعيّ لتحليل التّعابير الكتابيّة وتحديد مدى أصالتها.
- التّكنولوجيا عنصر مساعد وليس بديلًا عن الإبداع البشريّ.

- ضعف المنتج المعتمد على التّقانة، والافتقار إلى الأصالة والابتكار.
- أخذ المعلومات من مصادر خاطئة... (الوائلي، ٢٠٠٤).

التّكنولوجيا عنصر مساعد وليس بديلًا عن الإبداع البشريّ

- ضعف المنتج المعتمد على التّقانة، والافتقار إلى الأصالة والابتكار.
- أخذ المعلومات من مصادر خاطئة...

أهمّيّة المحافظة على جودة التّعبير الكتابيّ

- الإبداع ينبع من ذات المتعلّم وفهمه العميق للحياة.
- التّكنولوجيا وسيلة وليست غاية.
- تطويع التّقانة والمحتوى الرّقميّ للإبداع الكتابيّ.

خاتمة

بعد هذه الرّحلة البحثيّة في التّعبير الكتابيّ ومقتضيات العصر الرّقميّ، ها نحن في نهاية مطاف بحثنا الّذي أبرز أنّ التّعبير الكتابيّ مهارة أساسيّة من المهارات اللّغويّة الأربع، وأنّ تأصيلها في المتعلّمين بحاجة إلى وسائل متطوّرة تزيد من نموّها، لكون اللّغة العربيّة من أجمل اللّغات لانفرادها بخصائص تميّزها من بقيّة اللّغات. لذا، ينبغي أن تستفيد من الوسائل التّقنيّة المتطوّرة ومن الذّكاء الاصطناعيّ بغية تحقيق أهداف التّعبير الكتابيّ، وجعل تدريسه تدريسًا شائقًا ومنتجًا وفاعلاً. ولكن، لابدّ من القول، إنّ تعليمه يحتاج إلى عناية وجهد ومتابعة، وإلى نيّة صادقة وعزيمة لا تخور، وذلك بالاشتغال على تطوير الأدوات والوسائل، والاستفادة من الاتّجاهات اللّغويّة الحديثة في تعليم اللّغات وتكنولوجيا التّعليم.

وبناء على ما تقدّم أورد التوصيات التالية:

- التّقنيّة لا تصنع الإبداع من دون البصمات البشريّة، فالمتعلّم النّاجح يطوّع التّقانة والمحتوى الرّقميّ لإبداعِهِ الكتابيّ.
- الإبداع البشريّ هو المحور، والتّقانة عامل مساعد.
- ضرورة المواءمة بين الإبداع البشريّ والمحتوى الرّقميّ مَعَ مراعاة الضّوابط واحترام الحقوق.
- التكنولوجيا وسيلة مُعينة وليست بديلة للتّعبير الكتابيّ، والفهم العميق للإنسانيّة والإحساس الفنّيّ لا يمكن استبداله بالتّقانة.
- الإبداع الكتابيّ ينبغي أن ينبع من ذات المتعلّم وفهمه العميق للحياة.
- حاجة المؤسّسات التّربويّة إلى خطط لتعليم التّعبير الكتابيّ بشكل إبداعيّ واحترافيّ ومهنيّ.

مراجع عربيّة

- بركات، سلمى (٢٠٠٩). **اللّغة العربيّة مستوياتها وأداؤها الوظيفيّ** (ط١).الأردن: دار البداية.
- الدّبسي، رضوان (أكتوبر ٢٠٠٣). **تحديث طرائق تعليم اللّغة العربيّة– تكنولوجيا التّعليم وأنشطته** (د. ط). دمشق، مجمع اللّغة العربيّة، المؤتمر السّنويّ الثّاني، اللّغة العربيّة في مواجهة المخاطر.
- الموسى، نهاد (٢٠٠٣). **الأساليب: مناهج وأساليب في تعليم اللّغة العربيّة** (ط١). الأردن: دار الشّروق.
- الوائلي، سعاد عبد الكريم (٢٠٠٤). **طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتّعبير بين التّنظير والتّطبيق**(ط١). الأردن: دار الشّروق.